الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين–.

أما بعد..

فنواصل ما أخذ وشرع في ذكره المصنف –رحمه الله– من ذكر الدلائل على فضائل الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، التي هي أحب الكلام إلى الله –عز وجل–.

(المتن)

وقال أبو هريرة –رضي الله عنه–: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» خرَّجه مسلم.

وقال سمرة بن جندب –رضي الله عنه–: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» خرَّجه مسلم.

(الشرح)

هذان الحديثان وكل منهما مُخرَّجٌ في صحيح مسلم، ساقهما المصنف –رحمه الله– لبيان فضيلة الكلام، أو الكلمات الأربع التي هي أحب الكلام إلى الله –عز وجل–، (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**)، في الحديث الأول يقول –عليه الصلاة والسلام–: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»، ومن المعلوم أن الشمس تطلع على الدنيا كلها، ومعنى ذلك أن هؤلاء الكلمات أحب إليه –عليه الصلاة والسلام– من الدنيا وما عليها، والدنيا مليئة بالأمور التي هي حبيبة إلى النفوس، ومرغوبة إلى الناس وقد أَلِفوا الناس حبها من الأولاد، المتاع، المسكن، العشيرة، إلى غير ذلك.. فيقول –عليه الصلاة والسلام–: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»، أي: أحب إليَّ من الدنيا.

وقد جاء في حديثٍ آخر أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ**»، فلا خير في الدنيا إذا عدمت الذكر، لا خير في الدنيا إذا عدمت تسبيح الله –عز وجل–، وتحميده، وتكبيره، وتهليله، وتعظيمه، وتمجيده، أيُّ خيرٍ في الدنيا أن يعيش الإنسان عليها وهو خُلوٌ من ذكر الله –عز وجل–؟! عديم العناية بذكر الله –تبارك وتعالى–، أيُّ خير في هذا؟ هذا هو عين الحرمان، وعين الخسران في الدنيا والآخرة، «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»، يعني: أحب إليَّ من الدنيا، وهذا يدلنا على عِظم شأن الذكر عموماً، وعظم شأن هؤلاء الكلمات على وجه الخصوص، الكلمات الأربع التي خصَّها –عليه الصلاة والسلام– بالذكر –صلوات الله وسلامه عليه–.

والحديث الثاني أخبر أو ذكر فيه النبي –عليه الصلاة والسلام-، أن هؤلاء الكلمات الأربع أحب الكلام إلى الله، قال: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ**»، وأَحبُّ: أفعَل تفضيل، فأفضل الكلمات وأعظمها شأنًا عند الله –سبحانه وتعالى- هؤلاء الكلمات الأربع: (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**)، وهذا يعني: أن المسلم يُستحب له أن يُكثر دومًا وأبدًا في حياته من هؤلاء الكلمات: (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**)، يُكثر من ذكر الله –تبارك وتعالى- بهؤلاء الكلمات التي هي أحب الكلام إلى الله.

والمسلم إذا عرف أن هؤلاء الكلمات أحب الكلام إلى الله –عز وجل- فإن إقباله عليها سيعظم، وعنايته بها ستكبر، واهتمامه بها سيزيد؛ لأنها أحب الكلام إلى الله –سبحانه وتعالى- (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**).

وقد جاء في فضل هؤلاء الكلمات أحاديث كثيرة جدًا تدل على عظم مكانة هؤلاء الكلمات، والمصنف –رحمه الله- اقتصر على بعض الأحاديث الواردة، ومما جاء في ذلك ما رواه الترمذي بسندٍ جيد، **أن النبي –عليه الصلاة والسلام- مرَّ يومًا مع أصحابه بشجرة يابسة**، -مروا بشجرة يابسة-، **وكان بيده عصا أو خشبة أو نحو ذلك، فضرب بها تلك الشجرة وهي يابسة الأوراق، فلما ضرب –عليه الصلاة والسلام- الشجرة بعصاه أخذ الورق يتساقط منها**، أخذ الورق يتساقط لأنه ورق يابس فأخذ يتساقط من تلك الشجرة، فقال –عليه الصلاة والسلام- والورق يتساقط أمام الصحابة يرونه، قال –عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تُحَاتُّ الذُّنُوبِ كَمَا يَتَسَاقَطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**»، هذا مثال الآن واضح أمام الصحابة، الشجرة يتناثر منها الأوراق وتتساقط فيقول –عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تُحَاطُّ الذُّنُوبِ كَمَا تَتَسَاقَطُ أَوْرَاقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**»، معنى ذلك أن العبد كلما أكثر من ذكر الله –تبارك وتعالى- ولا سيما بهؤلاء الكلمات الأربع؛ فإنها تُحاط الذنوب وتمحو الخطايا.

ومرَّ معنا تقريبًا: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»، ومر معنا أيضًا في الحديث الذي قبله في قول: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**)، قال: «**وَحُطَّتْ عَنْهُ خَطِيئَةٌ**»، يعني في كل مرةٍ يقول فيها: لا إله إلا الله. فإذًا هذه من ثمار والآثار المباركة لهؤلاء الكلمات، أنها تُحاط الذنوب، وتحطّ الخطايا، وتمحو السيئات، وينبغي أن يُعلم هنا أن الخطيئة التي تُحطّ، والذنب الذي يُمحى، هو صغائر الذنوب واللمم من الخطايا، أما الكبائر والجرائم العظام فهذه لا بد فيها من التوبة إلى الله –سبحانه وتعالى-، ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام-: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا** –ماذا؟- **مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرِ**»، والله في القرآن يقول: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١]، فالكبائر لا بد فيها من توبة نصوح، وإلا أعظم الطاعات الصلاة، الصلوات الخمس أعظم الطاعات وأعظم فرائض الدين، والصلوات الخمس فيها تسبيح، وفيها تهليل، وفيها تحميد، وفيها تكبير، ولكنها لم تنهض كما دلَّ الحديث لحطّ ماذا؟ الكبائر، قال: «**مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرَ**»، الكبيرة لا بد فيها من التوبة، الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والقتل، وغير ذلك من الجرائم التي هي كبائر الإثم هذه لا بد فيها من التوبة، لا بد فيها من التوبة إلى الله –عز وجل- توبةً صادق.

والكبيرة هي التي جاء فيها وعيد إما بالنار، أو لعن صاحبها وفاعلها، أو الإخبار بأنه لا يدخل الجنة، أو أنه من أهل النار، أو نحو ذلك من الوعيد، فهذا كله كبائر، والعلماء –رحمهم الله- أفردوها –الكبائر- مصنفات خاصة، ومن أحسن ما أُلِّف فيها كتاب **[الكبائر]** للذهبي –رحمه الله-، وأنصح كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب في حياته ولو مرةً واحدة، أن يقرأه في حياته ولو

مرة واحدة حتى يقف على هذه الجرائم الكبيرة، ليكون وقوفه عليها وعلى حرمتها وعلى أدلة حرمتها وعلى خطورتها وأضرارها، سببًا ودافعًا للبعد عنها واجتنابها كما أمر الله، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، العلماء -رحمهم الله- يقولون: "**كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!**" الذي لا يعرف الكبائر ما هي، ولا يعرف حرمتها، ولا يعرف خطورتها، ولا يعرف الدلائل التي وردت فيها، كيف يتقيها؟!

فالشاهد أن الكبيرة لا بُدّ فيها من توبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وذكر الله، والصلوات، والحج، والصيام، ونحو ذلك من الطاعات، تُكفِّر الصغائر، تُكفِّر اللَّمم، تُكفِّر الذنوب، أما الكبيرة لا بدّ فيها من توبة صادقة إلى الله -تبارك وتعالى-.

الكلمات الأربع هي كما جاء في الحديث: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»، وهؤلاء الكلمات هنّ أحب الكلام إلى الله -عز وجل-، يعني ليس في الكلمات كلمات أحب إلى الله من هؤلاء الكلمات، فهي أحب الكلام إلى الله -سبحانه وتعالى-، (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**).

أما «**سُبْحَانَ اللهِ**» فهي كلمة تنزيه وتقديس، بقولك سبحان الله تنزّه الله، وتقدّس الله، وتبرئ الله- تبارك وتعالى- مما لا يليق به سبحانه، فسبحان الله كلمة تنزيهٍ لله -عز وجل- عن النقائص، وعن العيوب، وعمَّا لا يليق به -سبحانه وتعالى-، وعن مماثلة المخلوقات، الله -عز وجل- منزَّه عن ذلك كله، فهي كلمة تنزيه، ولهذا قال الله في القرآن:﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠]، أي: تنزّه وتقدّس رب العزة -سبحانه- عن ما يصفه به أعداء الرسل، فالتسبيح تنزيهٌ لله وتقديس له -سبحانه وتعالى-، ومن أسمائه القدُّوس، والسلام، والسبُّوح، وهذه كلها أسماء تنزيه، وتقديس لله -عز وجل-، وتبرئة من النقائص، فقول المسلم: «**سُبْحَانَ اللهِ**»، أي: أنزِّه الله، ولا يحسن بالمسلم أن يقول هذه الكلمة وهو لا يدري ما هي، ولا يدري ماذا تعني.

والواجب أن يقول هذه الكلمة وسائر الأذكار المشروعة وهو يعي معناها، ويعرف ما تدل عليه، وإلَّا فإن إتيانه بها سيكون ضعيف الأثر إذا لم يكن يعي معناها ويعرف دلالتها، فـ «**سُبْحَانَ اللهِ**» تعني تنزيه الله -عز وجل-.

«**وَالْحَمْدُ للهِ**» فيها الثناء على الله -سبحانه وتعالى-، إذا قلت: «**الْحَمْدُ للهِ**» أثنيت على الله، أثنيت عليه مع حبك له؛ لأن الحمد ثناء مع الحب لله -عز وجل-، فأنت تُثني عليه -جل وعلا- بقولك: «**الْحَمْدُ للهِ**» تثني عليه على أسمائه -جل وعز-، وصفاته، ونعمه، وعطاياه، ومِننه، كل ذلك أنت تُثني على الله به، فالله يُحمد على الأسماء والصفات، ويُحمد على النعم والعطايا والهبات، يُحمد -تبارك وتعالى- على ذلك كله، «**الْحَمْدُ للهِ**» فيها الثناء على الله -عز وجل-.

«**وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» هذه فيها التوحيد، لا إله إلا الله فيها التوحيد، وفيها الإخلاص، وفيها البراءة من الشرك، وعرفنا أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وهي قائمةٌ على ركنين اثنين: النفي في أولها والإثبات في آخرها، ولا توحيد إلا بهما، لا توحيد إلا بالنفي والإثبات الذي قامت عليه كلمة التوحيد لا إله إلا الله، النفي في أولها: «**لَا إِلَهَ**»، والإثبات في آخرها: «**إِلَّا اللهُ**»، تنفي وتثبت، تنفي العبودية عن كل من سوى الله، وتثبت العبودية بكل معانيها لله وحده لا شريك له -تبارك وتعالى-.

فـ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» هي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم -عليه السلام- باقية في عقِبِه لعلهم يرجعون، وهي كلمة التقوى، وهي العُروة الوُثقى، وهي كلمة الشهادة، وهي مفتاح دار السعادة، وهي أعظم النعم، وأجلّ المِنن، ولهذا لما ذكر الله -سبحانه وتعالى- في سورة النحل التي يُسميها بعض العلماء: سورة النِّعم، لما ذكر الله نعمه فيها، بدأها بنعمة لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

ولهذا قال بعض السلف: "**ما أنعم الله على عبده أو على عباده نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله**"، فهي أكبر النعم، وهي أفضل الحسنات، وأجل الطاعات، وأفضل الكلمات، لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد من تمسَّك بها فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ولا يكون التمسك بلا إله إلا الله إلا بالعلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، والصدق في قولها، انظر إلى هذه الأمور الثلاثة: العلم، والعمل، والصدق، العلم يَخرج به قائلها عن طريقة النصارى الذين يعملون ولا يعلمون، والعمل يَخرج به عن طريقة اليهود الذين يعلمون ولا يعملون، والصدق يَخرج فيه عن طريقة المنافقين الذين يُظهرون ما لا يُبطنون، فلا بد فيها من العلم والعمل والصدق، علم بمعناها، وعمل بمقتضاها، وصدق في قولها بحيث يقولها من قلبه، يواطئ قلبه لسانه، لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

ثم الكلمة الرابعة: «**اللهُ أَكْبَرُ**»، والتكبير فيه التعظيم لله –سبحانه وتعالى–، واعتقاد أنه –سبحانه وتعالى– الكبير المتعال الذي لا أكبر منه، ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ**﴾ [الأنعام:١٩]، فالله –عز وجل– هو الكبير المتعال –سبحانه وتعالى–، الذي لا أكبر منه –عز وجل–، فالله أكبر، أي: من كل شيء.

ولهذا جاء في الحديث أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال لعَدِيّ بن أبي حاتم في أول إسلامه، قال: «**يَا عَدِيُّ، مَا يُفِرُّكَ؟**» يعني: ما الذي يجعلك تفر عن الإسلام وتهرب منه، «**أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ وَهَلْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ! أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالُ: اللهُ أَكْبَرُ؟ وَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ!**»، فكلمة الله أكبر تدلّ على أن الله –عز وجل– الكبير المتعال الذي لا أكبر منه –سبحانه وتعالى–، «**وَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ!**» يقول –عليه الصلاة والسلام–، فالله –عز وجل– هو الكبير المتعال، ففي قولك: «**الله أكبر**» فيه تعظيم الله –عز وجل–، واعتقاد أنه لا أكبر منه —سبحانه–، وعندما يقول المسلم: «**الله أكبر**»، مستشعرًا لمعناها، مستحضرًا لدلالتها، يسقط من قلبه كل شيء كبير، ولهذا شُرع لنا أن نَستفتح صلاتنا بل جُعل تحريمها التكبير، يدخل الإنسان في صلاته وهو للتوّ مُنشغل بأمور كثير منها هي كبيرة في قلبه، وعظيمة عنده، ومستحوذة على اهتمامه، فإذا قال: «**الله أكبر**» مستحضرًا معناها، مستشعرًا دلالتها، كل هذه الأمور تسقط ولا يبقى في قلبه إلا تعظيم الله، والإقبال على الله –سبحانه وتعالى–، وحسن الخُضوع والتذلُّل، والخُشوع بين يديه –تبارك وتعالى–، فالله أكبر فيها التكبير تكبير الله –عز وجل–، واعتقاد أنه الكبير المتعال الذي لا أكبر منه –سبحانه وتعالى–. (**سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**)، هؤلاء الكلمات هُنَّ أحب الكلام إلى الله –سبحانه وتعالى–.

(المتن)

وخرَّج أيضًا عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فقال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، أَوْ تُحَطُّ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ»

(الشرح)

ثم أورد –رحمه الله– هذا الحديث وهو في صحيح مسلم عن النبي –عليه الصلاة والسلام– أنه قال لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**»، وألف حسنة شأنها عظيم جدًا، فهل يعجز الواحد منكم أن يكسب في اليوم ألف حسنة؟ هذا أسلوب مثل ما عرفنا في درسنا الماضي أسلوب تشويق وترغيب، وكثيرًا ما يأتي مثل هذا الأسلوب في حديثه –صلوات الله

وسلامه عليه-، وهذا كلّه من كمال نُصحه لأمَّته، وشدّة حرصِه على نفعهم وارتفاعهم واهتمامهم بذكر الله -عز وجل-، وبطاعة الله عمومًا، يستخدم هذا الأسلوب أسلوب التشويق -صلوات الله وسلامه عليه-.

«**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**»، فالصحابة لما قال لهم هذه الكلمة وُجد في قلوبهم وتحرَّك في قلوبهم هذا الأمر، الرغبة في اكتساب الألف حسنة في اليوم الواحد، **فقال سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟** يعني ما هي الطريقة؟ أرشدنا إلى الطريقة التي نحصِّل بها ألف حسنة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ**»، يعني يقول: سبحان الله مائة مرة، فهو بذلك يكسب ألف حسنة، قال: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، أَوْ تُحَطُّ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ**»، تُكتب له ألف حسنة؛ لأن الحسنة بعشر، فهو إذا قال: سبحان الله مائة مرة، والحسنة بعشر أمثالها فهذه ألف حسنة في قوله لسبحان الله مائة مرة، ثم كذلك إذا هلَّل، وإذا كبَّر، وإذا حمد الله -عز وجل-، كل ذلك له فيه هذا الثواب الذي أخبر به النبي -عليه الصلاة والسلام- كما يدل على ذلك أحاديث أخرى واردة في الباب.

(المتن)

وفيه أيضا عن جويرية أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مَازِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(الشرح)

ثم أورد -رحمه الله- هذا الحديث حديث أم المؤمنين جويرية -رضي الله عنها- تقول: أن النبي ﷺ **خرج من عندها بُكرةً** أي: في الصباح الباكر، **حين صلى الصبح** يعني: بعد أن صلى الصبح.

قال: **وهي في مسجدها**، مسجدها أي: المكان الذي كانت تسجُد فيه، مُصلَّاها الذي تصلي فيه في بيتها، فخرج من عندها وهي في مسجدها أي: مصلاها، هنا يا إخوان فائدة ينبغي أن تُنقل للنساء في البيوت، وكل واحد يتحمل هذا الأمر ينقل هذا لأهله في بيته الأم، الزوجة، الأخت، ننظُر طريقة نساء الصحابة أمهات المؤمنين وهن قدوة للمسلمين عمومًا، فجويرية -رضي الله عنها- تصلي وتجلس في مصلاها، تجلس في مصلاها المكان الذي صلت فيه في بيتها تبقى جالسة فيه تذكر الله -سبحانه وتعالى-، وهذا أمر يفوته كثيرٌ من النساء، كثير من النساء إذا صلَّت تصلي عَجِلة، تصلي صلاتها عجلة، ثم تطوي مصلاها وتقوم، وتنهض من مصلاها ولا تجلس فيه، بينما حال نساء الصحابة حالٌ آخر، فكانت جالسة في مصلاها، دخل عليها النبي -عليه الصلاة والسلام-، أو خرج من عندها وهي في مسجدها يعني في مصلاها المكان الذي صلت فيه، فهذا أمر ينبغي أن يُعتنى به، ينبغي أن تبدأ المرأة بيتها في بكورها بالصلاة والجلوس في المصلى تذكر الله -عز وجل-، وتطمئن في مصلاها ولا تكن عَجِلة، وإذا كان ورائها أعمال تضطَّر للقيام بها فلتأخذ نصيبها ولتأخذ حظها من الجلوس في مصلاها طلبًا للبركة، بركة الإبكار وأذكار الصباح وهي جالسة مطمئنة في مصلاها، ثم بعد ذلك تنهض لأعمالها ومصالحها وأولادها، فهذا من الأمور المهمة التي ينبغي أن يُعتنى بها.

تقول أم المؤمنين: **خرج من عندها** أي: رسول الله -عليه الصلاة والسلام-. **بُكرةً** يعني: في الصباح الباكر، **حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة** يعني: جالسة في مصلَّاها لم تبرح، لم تَقُم من مكانها بل هي جالسة

فيه، يعني: جالسة إلى الضحى، خرج إلى عمله -عليه الصلاة والسلام- ورجع إليها في البيت وهي لا تزال جالسة في مصلاها، فقال: «**مَازِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**»، يعني ما قومتِ منذ خرجت، أنتِ باقية في هذا المكان منذ خرجت من عندك؟ قالت: **نعم**، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**»، يعني: بالذكر الذي أتيتِ به وأنتِ جالسة الوقت هذا كله إلى الضُّحى، «**قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**».

هُنا أريد أن ننتبه لمسألة أُنبِّه عليها وهي: هل النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما أرشدها إلى الأربع كلمات التي سنقف عليها، هل أراد منها أن تقول هذه الكلمات الأربع وتترك مصلّاها والجلوس فيه؟ أو أراد أن يُرشدها إلى ذكرٍ فاضل مضاعف تعتني به مع الأذكار التي هي تُحافظ عليها؟ لننتبه لهذا، نحن سيأتي عندنا عند المصنف -رحمه الله- بابٌ واسع وفصل واسع فيه أذكار عديدة تُقال في الصباح من تسبيح، وتهليل، وتحميد، ودعوات، وأذكار متنوعة يُشرع للمسلم أن يأتي بها في صباحه، من جُملتها هذا الذكر المضاعف الذي أرشد إليه النبي -عليه الصلاة والسلام-.

فلما قال لها هذا الكلام لم يقله لها تزهيدًا منه -عليه الصلاة والسلام- لها في العمل الذي هي كانت عليه جالسة في مصلاها، بل هذا جاء فيه ترغيب في أحاديث عنه -صلوات الله وسلامه عليه-، وجاء في صحيح مسلم **أنه** ﷺ **إذا صلى جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس**، وجاء عنه الترغيب في ذلك.

فالشاهد أنه -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر لها هؤلاء الكلمات الأربع أراد أن تُدرج هؤلاء الكلمات الأربع في جملة الأذكار التي تعتني بها في صباحها الباكر، لا أنه قال لها ذلك ليزهّدَها فيما كانت، ولتَستعيض بهؤلاء الكلمات عن الذكر الذي كانت تقوله، هذا أمرٌ ينبغي أن ننتبه له، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر لها هؤلاء الكلمات لتُحافظ عليها ولتعتني بها في جملة الذكر الذي كانت تُحافظ عليه، وتُداوم عليه في مصلاها كل يومٍ بعد صلاة الصبح.

قال: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**»، أخذ ابن قيم -رحمه الله-، من هذا الحديث، وكذلك غيره من العلماء، أخذوا من هذا الحديث ونظائره من الأحاديث الواردة في السنة وصفًا لهذا الذكر الآتي بأنه ذكرٌ مُضاعف، يسمونه: الذكر المضاعف، يعني: الذي ثوابه مُضاعف عن بقية الأذكار، فيه تضعيف في الثواب وتضعيف في الأجر، ولا أدلَّ من التضعيف من قول النبي ﷺ لجويرية: «**لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ**»، لا يعني من كلام كنتِ تقولينه من الصباح الباكِر إلى الضُحى، «**لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ لَوَزَنَتْهُنَّ**»، فهذا يدل على أن هؤلاء الكلمات مُضاعفة يعني: ثوابها مُضاعف عند الله -سبحانه وتعالى-، فالعلماء -رحمهم الله- يُسمُّون هذا الذكر: الذكر المضاعف، يُسمُّونه: الذكر المضاعف يعني الذي ثوابه مُضاعف عند الله -سبحانه وتعالى-.

ما هي الكلمات الأربع؟ «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»، تقول هؤلاء الكلمات الأربع ثلاث مرات، وهي من الذكر المضاعف.

الكلمة الأولى: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ**»، أي: عدد ما خلق الله، فكم هذا التسبيح؟ كم عدده؟ لا يُحصيه إلا الذي خلق هذه المخلوقات، عندما يقول القائل: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ**» كم عدد خلق الله؟ ولم تخصَّ العدد بالناس، ولم تخصَّ العدد بالثرى، ولم تخصَّ العدد بشيءٍ معين من المخلوقات، وإنما عدد خلقه، فكم عددهم؟ لا يُحصي عددهم إلا الذي خلقهم -سبحانه وتعالى- ، فهذا تسبيحٌ مُضاعف «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ**».

«**سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ**»، أي: رضا الله -سبحانه وتعالى- تسبيحًا ينال به العبد رضا الله -تبارك وتعالى-، وتسبيحًا يرضى الله -سبحانه وتعالى- به عن عبده، وهذا فيه دلالة؛ أن مما ينال به العبد رضا الله -سبحانه وتعالى- الإكثار من ذكره، والإكثار من تسبيحه وتنزيهه، الله -سبحانه وتعالى- يُغضبه ويُسخطه قول أعداء الرسل، ومن يصفونه بالنقائص، ومن يصفونه بما لا يليق به، ومن يمثِّلونه بخلقه، كل ذلك يُسخط الله، وضد ذلك يُرضيه أن تسبح الله، أن تنزه الله، أن تقدس الله -سبحانه وتعالى-، ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات:١٨٠]، فهذا أمرٌ يُنال به رضا الله، كما أن ضد ذلك ووصفه بما لا يليق به يسخطه ويغضبه -سبحانه وتعالى-، فمما يُنال به رضا الرب -سبحانه وتعالى- الإكثار من التسبيح ولا سيما هذه الصيغة المباركة: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ**».

والمسلم بحاجة أن يُكثر من تسبيح الله -تبارك وتعالى-، من تسبيح الله أي: تنزيه الله وتقديسه -عز وجل-، قال: «**سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ**».

«**سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ**»، والعرش أكبر المخلوقات، والعرش أثقل المخلوقات وزنًا، لو تُوزن المخلوقات لكان أثقلها وزنًا عرش الرحمن -سبحانه وتعالى-، أكبر المخلوقات وأثقل المخلوقات وزنًا، ولهذا اختاره النبي -عليه الصلاة والسلام-، ما قال: سبحان الله زنة كرسيه، ولا قال: سبحان الله زنة سماواته، ولا قال: سبحان الله زنة أرضه، وإنما قال: «**سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ**» لأن العرش أثقل المخلوقات وزنًا، فاختاره -عليه الصلاة والسلام- ولا يختار إلا الأعظم -صلوات الله وسلامه عليه-، قال: «**سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ**»، والعرش هو أكبر المخلوقات، جاء في حديث أن أبا ذر -رضي الله عنه- أتى النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو جالسٌ في مكة عند المسجد عند الكعبة، فقال: **يا رسول الله، أيُّ آيةٍ في كِتابِ اللهِ أعْظَمْ؟** قَالَ: «**آيَةُ الْكُرْسِيِّ**»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**آيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَمَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ**»، اقرأ الآية: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [البقرة:٢٢٥]، يُبيِّن -عليه الصلاة والسلام- هذه السَّعة للكرسيّ بقوله ﷺ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ**»، ماذا تساوي حلقة حديد ترميها في صحراء؟ ما نسبتها إلى الصحراء؟ حلقة حديد ترميها في الصحراء في فلاة، ما هي نسبة قطعة الحديد الملقاة في الصحراء إلى الصحراء؟ ما هي النسبة؟ قال: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَاضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ**»، وفضل -انتبه- **وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ مِثْلُ ذَلِكَ**»، يعني: الكرسيّ بالنسبة للعرش كحلقة مُلقاة في فلاة، فالعرش عرش الرحمن -سبحانه وتعالى- أكبر المخلوقات وأوسعها.

ولهذا وصفه -سبحانه وتعالى- في القرآن بـ ﴿**الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة:١٢٩]، ووصفه أيضًا بـ ﴿**الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾، قال: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ**﴾ [البروج:١٥]، المجيد ما معناه؟ يعني الواسع، في قراءة: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ**﴾ يعني: صفة للعرش، في قراءة أخرى ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ أي: الله -سبحانه وتعالى-، فالعرش المجيد في قراءة الخفض أي: الواسع؛ لأن المجد هو السعة، فالعرش هو أوسع المخلوقات، وأكبر المخلوقات، وأثقل المخلوقات وزنًا، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- هنا: «**زِنَةَ عَرْشِهِ**» اختار أثقل المخلوقات وزنًا، فهذا أيضًا يدلُّنا على عِظَم هذا التسبيح، تسبيحٌ زنته زِنة ماذا؟ تسبيحٌ زنته زِنة عرش الرحمن، وعرش الرحمن -سبحانه وتعالى- أثقل المخلوقات وزنًا، وعرش الرحمن -سبحانه وتعالى- أكبر المخلوقات، وربنا جَل شأنه وعظم -سبحانه وتعالى- استوى على هذا العرش المجيد كما أخبر بذلك في كتابه العزيز، ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الفرقان:٥٩]، وكما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، قال: «**وَزِنَةَ عَرْشِهِ**».

«وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، المِداد ما هو المِداد؟ الحِبر الذي يُكتب به، «وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» التسبيح هنا تسبيح غير متناهي؛ لأن كلمات الله -عز وجل- لا نهاية لها، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، هذا للتوضيح والبيان، كلام الله لا نهاية له، «وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» فهذا تسبيحٌ مضاعف، تسبيح لا حد له ولا عد ولا إحصاء له، مَنْ الذي يُحصي مخلوقات الله؟ ومَنْ الذي يُدرك ثِقل وزن عرش الرحمن -سبحانه وتعالى-؟ فهذا تسبيحٌ لا حدَّ له ولا عد، فهو تسبيحٌ مضاعف.

هنا نستشعر عِظم نعمة الله علينا -سبحانه وتعالى- بأن هدانا إلى أمثال هذه الكلمات التي رتَّب -سبحانه وتعالى- عليها الأُجور المضاعفة والثواب الجزيل، كلمات قلائل قليلة ولا يأخذ منَّا قولها ثلاث مرات دقيقة واحدة، عندما تقول هذا التسبيح لا يستغرق منك دقيقة واحدة ولكن فيه ثواب مضاعف، ومع ذلك كثير منا يأتي عليه صباح وآخر وثالث ورابع وعاشر وهو لا يقول هذا التسبيح، لا يقول هذا التسبيح إما أنه لا يعرفه، أو أنه يعرفه، ولكنه غير مبال ولا مهتم، ربَّما بعض الناس يهتم بترداد أبيات يتذوقها ويجد لها حلاوة وتجده يوميًا يرددها، ولكنه أمثال هذا التسبيح العظيم الجليل الذي يُرشد إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- تجده محرومًا منه، محرومًا من التسبيح ومشتغلًا برقية الشيطان -والعياذ بالله- التي هي الأغاني وبريد الشر، فهذا هو الحرمان والخسران.

فالواجب على المسلم أن يستشعر أمثال هذا الثواب وهذا الأجر الذي أرشد إليه النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن يعتني كل يوم بأمثال هذه الأذكار المباركة التي أرشد إليها النبي -عليه الصلاة والسلام-، وإلَّا كيف يحرم مسلم نفسه من مثل هذا الخير العظيم كل يوم ثلاث مرات! «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**» يقولها كل يومٍ ثلاث مرات كما أرشد إلى ذلك رسولنا -صلوات الله وسلامه عليه-.

(المتن)

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأةٍ وبين يديها نوىً أو حصى تسبح به، فقال: «أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ» خرّجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأةٍ وبين يديها نوىً أو حصى، النوى: الفصم للتمر الذي يكون في داخل التمرة، والحصى: معروف الحجر الصغير يقال له: حصى، فكان بين يديها حصى أو نوى تسبح به، يعني تعُد تسبيحاتها بالحصى أو بالنوى الذي بين يديها، فقال: «**أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ؟**»، يعني الذي تفعلينه، فقال: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ**»، يعني أرشدها -صلوات الله وسلامه عليه- إلى هؤلاء الكلمات، لكن هذا الحديث لم يثبُت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- كما نبه على ذلك محقق الكتاب الشيخ الألباني -رحمه الله- يقول في الهامش: (مداره على سعيد بن أبي هلال عن خزيمة، وسعيد قال: أحمد كان اختلط، وخزيمة قال: الذهبي والعسقلاني -أي ابن حجر- لا يُعرف، وقد بينت ذلك في الأحاديث الضعيفة برقم ٨٣)، وبعضهم يستدل بهذا الحديث -وهو حديث ضعيف كما

رأينا-، يستدل به على مشروعية استخدام السبحة في عد التسبيحات، إما السبحة التي بـ ٣٣ خرزة، أو السبحة التي بمائة خرزة، وفي سبح بألف خرزة، فبعضهم يستدل على مشروعية استخدام السبحة بهذا الحديث الضعيف.

والذي ثبت أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يعدُّ التسبيح بماذا؟ يعدُّ التسبيح بيده، يسبح ويعدُّ التسبيح بيده، فهذا الذي ثبت عنه، وقد قال -عليه الصلاة والسلام- بل كان يردد ذلك: «**خَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-**» وهو القدوة، ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:٢١]، ولا يُعرف في حديثٍ عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه سبَّح بسبحة أو سبَّح بنوى هذا ما يُعرف أبدًا، والتسبيح بالنوى جاء في مثل هذا الحديث الضعيف الذي لم يثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فلا يُحتج به.

وقد كان في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- الخرز موجود ومعروف عند الناس، والخيوط موجودة، ولو كان في التسبيح بالسبحة خيرًا لدلنا عليه -عليه الصلاة والسلام-، لأننا نعتقد أنه -عليه الصلاة والسلام- ما ترك خيرًا إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شرًّا إلا حذرها منه، وكان في زمانه الخرز موجود والخيوط موجودة، وكان أحرص الناس على نفع الناس ودلالتهم على الخير، وما أرشد الأمة إلى استخدام السبحة -عليه الصلاة والسلام-.

فالذي ينبغي على المسلم أن يعوِّد نفسه على التسبيح بيده كما كان يفعل -عليه الصلاة والسلام-، كان يعقد التسبيح بيمينه ﷺ، فيفعل المسلم مثل ما فعل ﷺ، وخير الهدى هدى محمد -عليه الصلاة والسلام-، ومن كان منا تعود لسنوات طويلة أن يسبح بسبحة عليه أن يتركها اقتداءً بنبيه -عليه الصلاة والسلام-، ما عُرف أبدًا مطلقًا نهائيًا أنه -عليه الصلاة والسلام- سبَّح بسبحة ولا حتى في حديث ضعيف، ما جاء أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يسبح بسبحة أو بنوى أو نحوه ما جاء من فعله -عليه الصلاة والسلام-، وجاء في مثل هذا الحديث أن بعض الصحابة فعل ذلك ولكنه أيضًا لم يثبُت.

فالواجب على المسلم أن يعود نفسه، فالسنة خير وبركة، ثم إن بعض الناس لما تركوا السنة واشتغلوا بالتسبيح بالسبحة ترتَّب على ذلك أمور عديدة منها على سبيل المثال: أنه وُجد عند بعض الناس اعتقادات كبيرة في السبح، يعني هناك سُبحة يسميها أصحابها باسم معين يقولون: إذا سبَّح المسبح فيها مرة واحدة تكتب له ألف، يعني: إذا قال فيها: سبحان الله بهذا النوع من السبح وسموها باسم معين تُكتب له ألف تسبيحة، وبعضهم أيضًا أصبح يستعمل السبحة استعمالاً آخر في غير التسبيح، يجلس بعضهم في الصباح الباكر وبيده سبحة طويلة فيها ألف خرزة ولا يسبح، وإنما يسحب السبحة بيده بهذه الطريقة مثل الذي يُخرج الماء من البئر، مثل الذي ينزع الماء من البئر، يسحب في الصباح يسحب تجده يسحب مرات كثيرة هذا يسمونه: سحب البركة، يعني في الصباح يجلس يسحب البركة بسبحته يسحبها، مثل الذي ينزع الماء من البئر سحبًا للبركة بالسبحة، من الذي جاء بهذا! هذا كله من البدع ومن الضلال التي ما أنزل الله -تبارك وتعالى- بها من سلطان، ولو يُنظر عند الطرقية عندهم عجائب وغرائب بُنيت على السبحة التي هي غير مشروعة.

فعلى كل حال ينبغي على المسلم أن يعود نفسه أن يفعل مثل ما فعل نبيه -عليه الصلاة والسلام-، ولا نعرف حديثًا عنه ﷺ أنه سبح يومًا بسبحة، ما نعرف لا حديث صحيح ولا حديث ضعيف أنه سبح بسبحة ما يُعرف هذا عنه -عليه الصلاة والسلام-، وكلنا نقول خير الهدى هدى من؟ هدى محمد -عليه الصلاة والسلام-.

ثم -يا إخوان- عدّ التسبيح باليمين بيدك أمر ليس بمعضلة، وليس أمرًا ثقيلًا أو كبيرًا، عد التسبيح باليمين أمر سهل جدًا إذا تعود عليه الإنسان من أسهل ما يكون، فهو أمر سهل، وهو سنة نبينا -صلوات الله وسلامه عليه-، أما السبحة التي بألف خرزة

فإننا لا نعرف في الأذكار المشروعة ما يُشرع عدُّه ألف مرة، ووجود هذه السبحة التي بألف خرزة تعني ماذا؟ أن هناك أذكار يُشرع أن تعدكم؟ ألف مرة، ولا نعرف في الأذكار المشروعة ما يُشرع عده، أن تجلس وتعد ألف مرة هذا ما نعرفه في الأذكار المشروعة، فهي خطأ مبنيٌّ على خطأ، ومخالفة مبنية على مخالفة، ففي الأذكار المشروعة التي تُعد لا نعرف ذكرًا مشروعًا يُشرع للمسلم أن يعده ألف مرة؛ هذا لا نعرفه في سنة النبي الكريم –صلوات الله وسلامه عليه–.

(المتن)

وعن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ، قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي»، فَلَمَّا وَلَّى الْأَعْرَابِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ».

(الشرح)

ثم أورد المصنف –رحمه الله– هذا الحديث حديث سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: **يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ**، هنا قبل الدخول في الحديث أنبه على لطيفة مهمة وهي مجئ هذا الأعرابي إلى النبي –عليه الصلاة والسلام–، هذه سنة مباركة كان الأعراب يتوافدون على النبي –عليه الصلاة والسلام–، ويتوافدون أيضًا على أصحابه من بعده وعلى العلماء، يتوافدون من أماكنهم لمعرفة الخير، فالخير لا بُد أن يفِد الإنسان عليه، وأن يُقبل عليه، وأن يبحث عنه، وأن يسأل عنه، ولا يبقى منقطعًا في هجرته، أو في قريته، أو في مكانه، أو عند غنمه منعزلًا عن الخير، بل ينبغي أن يَقدُم إلى أماكن العلم وأماكن الخير، ويسأل عن الخير ثم يرجع إلى مكانه، أما أن يبقى مع غنماتِه أو مع مصالحِه، ويبقى حياته إلى أن يأتيه الموت وهو معطلًا نفسه عن معرفة الخير؛ هذه مصيبة، فهذا يؤخذ منه منهج أن ينبغي على من أراد بنفسه الخير من أهل القرى من أهل الضيعات أن يَقدُم إلى أماكن العلم، يخصص وقتًا من حياته، يَقدُم، يسأل، يتعلم دينه، لا يبقى حياته إلى أن يتوفاه الله –سبحانه وتعالى– وهو لا يعرف دينه، والعلم يقول –عليه الصلاة والسلام– بالتعلم، «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**»، فينبغي أن يذهب ويبحث عن العلم، ويسأل عن دينه، ويتعرف عليه كما كان الصحابة وكما كان الأعراب يتوافدون إلى النبي –عليه الصلاة والسلام–، بل كان الصحابة من حول النبي –عليه الصلاة والسلام– إذا جاء أعرابي يفرحون؛ لأنه سيأتي أسئلة وسيخرج علم ويستفيد الناس ويحصل أمور فيها نفع وفائدة، فكانوا يفرحون بمقدَم من يأتي من الأعراب إلى النبي –عليه الصلاة والسلام–.

قال: أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: **يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ**، يعني: أراد من النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يُرشده إلى ذكرٍ يقوله ويُحافظ عليه، فقال له –عليه الصلاة والسلام–: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**» علَّمه هؤلاء الكلمات، وهذه الكلمات أو الجمل الخمس هذه كلها ذِكرٌ لله –سبحانه وتعالى–، تذكر الله –عز وجل– بالتهليل، بالتكبير، بالتحميد، إلى آخره.. كلها ذكرٌ لله –سبحانه وتعالى–، ومعانيها مرَّت معنا **لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله**، معانيها مرَّت معنا قريبًا، **ولا حول ولا قوة إلا بالله** سيأتي معنا قريبًا أنها كنز من كنز العرش، وأيضًا يأتي الكلام عليها هناك بإذن الله –عزّ وجل–.

فأرشده النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى هؤلاء الكلمات وهي كلها ذكر لله، والرجل يفهم الكلام، فلما أرشده النبي –عليه الصلاة والسلام– قال الأعرابي: **هَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟** يعني هذا كله ذكر لله، **هَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟** أنا أريد أيضًا شيء لي، قال:

هَؤُلَاءِ لِرَبِّي يعني هذا المعنى شبيه بالمعنى الذي جاء ابتداءً في سورة الفاتحة، رب العالمين ماذا قال -سبحانه وتعالى-؟ قال في الحديث الصحيح: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»، يعني نصف لله ونصف للعبد، بعض العلماء يقول: (الفاتحة مقسومة بالنصف بين الرب والعبد، ثلاث آيات ونصف للرب، وثلاث آيات ونصف للعبد)، وهذا من كرم الله -سبحانه وتعالى- ، يقول: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ**»، المراد بالصلاة: الفاتحة، وسُميت الفاتحة صلاةً؛ لأنها ركن الصلاة الأعظم، فقال: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»، فهنا يقول الأعرابي: **هَذَا لِرَبِّي**، يعني كله تمجيد وثناء وتحميد وتكبير كله لربي، فما لي؟ يعني أنا أريد شيء لي أنا، دعوات لي أنا، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**»، فجمع له النبي -عليه الصلاة والسلام- بهذه الدعوات الجوامع الخير كله، جمع له الخير كله، أرشده أن يسأل الله المغفرة أي: مغفرة الذنوب وهو سترها والعفو عنها والصفح.

قال: «**وَارْحَمْنِي**» أي: أدخلني برحمتك بالتوفيق للأعمال الصالحة، والطاعات الزاكية، وحُسن الإقبال على الله -سبحانه وتعالى- ، «**وَاهْدِنِي**» أي: إلى صراطك المستقيم، وأسباب البر، والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، «**وَعَافِنِي**» أي: عافني في بدني، وعافني في مالي، وعافني في ولدي، وعافني في صحتي، عافني في ذلك كله، عافني في ديني، عافني في دنياي، عافني في آخرتي، «**وَارْزُقْنِي**» أي: من خَيْرَي الدنيا والآخرة، فأرشده النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى هؤلاء الكلمات، يعني هذه لك، تلك لله ذكر لله، وهذا لك، يعني دعاء تدعو به لك جامع لِخَيْرَي الدنيا والآخرة، فانصرف انطلق الأعرابي وهو مُمسك بيده، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**لَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ**»، وهذا يدلنا على أن من يحفظ هذه الكلمات وهذه الدعوات يكون ملأ يديه من الخير، خير عظيم حصَّله، والأعرابي انطلق وهو ممسك بهذا الخير أي: عازم عزمًا على أن يُحافظ على هذا الذكر وهذا الدعاء، فملأ يديه من الخير كما أخبر بذلك الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

(المتن)

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ». قال الترمذي: حديث حسن.

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث في فضل الكلمات الأربع: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**، وفيه أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي**»، لما أُسري به -عليه الصلاة والسلام- لقِي إبراهيم أي: الخليل -عليه السلام- فقال: «**يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ**» -عليه صلوات الله وسلامه، وعلى نبينا صلوات الله وسلامه- قال: «**أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ**، يعني أخبر أمتك، **أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ**»، القِيعان: هي الأرض المستوية المنبسطة الخصبة الصالحة للزراعة، وهنا أرض خصبة وطيبة وماؤها عذب يعني مهيئة للزرع، أرض طيبة.

الآن لو قِيل لأحدنا: يوجد أرض ثمنها رخيص وصفتها كذا وكذا، تحرَّك قلبه أن يمتلكها، وأن يزرعها، وأن يضع فيها من النخيل وأطايب الأشجار ما تحبه نفسه، فانظر الترغيب! قال: «**أَخْبِرْهُمْ**»، وهذا من نصح إبراهيم -عليه السلام- لأمة محمد ﷺ، قال: «**أَقْرِئْهُمْ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ**»، يعني: جاهزة اغرسوا فيها، والغرس في تلك التربة وفي تلك الأرض الطيبة ما يُكلفك شيء، الآن لو كان عندك أرض وتريد أن تغرس نخلة، كم يحتاج منك من جهد؟ عمَّال،

ومعاول، وعمل، وجهد، وحفر وأشياء كثيرة تفعلها حتى تغرس النخلة، وغرس النخل في الجنة في تلك التربة الطيبة عذبة الماء التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير.

أذكر مرة من الطرائف: أن رجلًا من النصحاء مرَّ على رجلٍ مسن له سنوات وهو على فراشه، أقعده المرض والكبر والهرم، فلما سلَّم عليه وجلس معه قليل مسك يده، قال: (يافلان اغرس نخلًا)، يُحرِّك يديه، قال: (اغرس نخلًا) رجل مقعد له سنوات ما يتحرك أقعده الكبر، فمسك يده قال: (يا فلان اغرس اغرس نخلًا)، فكأنما ما انتبه، قال: (سبِّح، كبر، احمد الله، هلِّل)، يعني يُشير إلى هذا الحديث. الإنسان وهو على فراشه، وهو يمشي، وهو قاعد، يغرس نخل تسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وهو في ذلك يغرس نخل وشجر في الجنة، قال: «**أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»، الغرس يعني: الشجر أو النخل التي في الدنيا تأتي بالفسيلة وتغرسها، والنخل الذي ينبُت ويُثمر في الجنة غراسه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فهذا الحديث من الأحاديث الواردة في فضائل الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أنها غراس الجنة.

(المتن)

وقال أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه–: قال لي النبي ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» متفق عليه.

(الشرح)

ثم ختم هذا الفصل –رحمه الله– بحديث أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال له: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**»، ألا أُرشدك أو أُخبرك بكنز من كنوز الجنة؟ قلت: **بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ**، أي أخبرني، قال: «**قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» فلا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، وجاء عنه –عليه الصلاة والسلام– أنه قال: «**أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ فَهِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**»، فهذه الكلمة كلمة عظيمة جدًا، لا حول ولا قوة إلا بالله، وأخبر نبينا –عليه الصلاة والسلام– هنا: أنها كنز من كنوز الجنة، وهي كلمة استعانةٍ بالله –سبحانه وتعالى–، كلمة استعانة لا حول ولا قوة إلا بالله معناها أي: لا تَحوُّل من حالٍ إلى حال، من ضلالٍ إلى هداية، من مرضٍ إلى صحة، من ضعفٍ إلى قوة، لا تحول من حالٍ إلى حال، ولا قوة عند العبد على فعل شيء من أفعاله أو أمر من أموره إلا بالله –سبحانه وتعالى–، فـ لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة بالله –سبحانه وتعالى–.

ولهذا يُشرع لك دائمًا وأبدًا أن تقول هذه الكلمة في استقبالك لمصالح دينك ودنياك، وكان نبينا –عليه الصلاة والسلام– كما سيأتي معنا في حديثٍ لاحق، كل مرةٍ يخرج من بيته، أو جاء في الحديث أنه أرشد أن يقول المسلم إذا خرج من بيته، أن يقول: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، في أي مرة تخرج من البيت لأي مصلحة دينية أو دنيوية تقول: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، يعني تطلب بهذا القول عون الله لك، وإذا نادى المنادي: حي على الصلاة، حي على الفلاح، أي: تعالوا إلى الصلاة وإلى الفلاح؛ يُشرع لك أن تقول حينئذٍ: لا حول ولا قوة إلا بالله، تطلب العون من الله –سبحانه وتعالى–، فـ لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة، وكثير من الناس لجَهلهم بمعناها يستخدمونها في الاسترجاع، وهذا أمر نبَّه عليه ابن تيمية قديمًا مؤلف هذا الكتاب، يقول –رحمه الله–: **لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة، ويُخطئ كثير من الناس فيستخدمها في الاسترجاع**، ما معنى هذا؟ تجد بعض الناس يُقال: اليوم مات فلان، يقول: فلان مات! لا حول ولا قوة

إلا بالله، هذا مو موضعها، هذا من الجهل بمعنى هذه الكلمة، هنا تقول ماذا؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، تسترجع، أمَّا لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة، ولهذا ابن تيمية مؤلف هذا الكتاب يقول: **لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة ويخطئ كثير من الناس فيستخدمونها في الاسترجاع.**

هذا ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يأخذ نواصينا جميعًا إلى الخير، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يُصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأن يغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُعزَّ دينه، وأن يُعلي كلمته، وأن يخذل أعداء الدين بمنِّه وكرمه، لا حول ولا قوة إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.